إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة –العدد الثانی عشر –شتاء ۱۳۹۲ش/كانون الأول ۲۰۱۳م
صص ۳۲ ـ ۹

العلم وأنواعه من وجهة نظر مولانا جلال‌الدين بلخی

مهدی محقق*
فاطمة حيدری**
شيوا حيدری***

الملخص

يعتبر العلم بمعنى المعرفة أو بمعنى الحكمة، من التعابير الهامة التی استعان بها مولانا جلال‌الدين شاعر القرن السابع الهجری؛ إذ يعتبر أنَّ العلم الأسمى هو الذی يهدی الإنسان ويرشده نحو الحقيقة بحيث يصل بين الظاهر والباطن، وبناءً على الحديث الشريف، يری أنَّ الحكمة والعلم الباطن هما ضالة المؤمن ومرادف للمعرفة؛ أمَّا العلم الظاهر فهو مرادف للعقل كما يری، مستعيناً بآية من القرآن الكريم، بأنَّ العلم الحقيقی هو العلم الذی ينتهی إلى اليقين. ويسمّی مولانا العلوم الظاهرية بالعلوم الحيوانية كما يعتبر العلوم الباطنية وحياً، حيث يعتقد بأنَّ العلوم المادية حجاب طريق السالک، لأنَّها تؤدّی إلى فرض الذات وتمنعه من بلوغ الكمال. فبناء على ما تقدّم، تسعى هذه المقالة إلى دراسة مختلف أنواع العلوم التی ذكرها مولانا جلال‌الدين الرومی فی مثنوی معنوی.

الكلمات الدليلية: مولوی، العلم، المعرفة، الحكمة.

---

*. أستاذ بجامعة آزاد الإسلامية فی كرج، إيران.
**. أستاذة مشاركة بجامعة آزاد الإسلامية فی كرج، إيران.
***. خريجة مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فی كرج، إيران maj.dar2125@yahoo.com
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. مهدی ناصری
تاريخ الوصول: ۱۳۹۱/۱۱/۹ تاريخ القبول: ۱۳۹۲/٦/۸

المقدمة

«إنَّ لفظة العلم تشير إلى المعرفة، واليقين، والإدراک، ويأتی عن طريق حفظ المكتشفات والمعلومات.» (دهخدا، ١٩٩٤م، ج١٠: مفردة العلم) ويعتبر العلم من وجهة نظر المعارف الطبيعية والعينية علماً بالظواهر العينية والطبيعية، وأمّا مصطلحات العقل، والوضوح، والمعرفة، والوعی، والبحث، والتدبير، والاستنباط، والاستدلال، والإدراک، والاختبار والتجربة فإنَّها تنتمی إلى مفهوم العلم. ولذلک فالعلم يعنی المعرفة العقلية – التجربية للظواهر العينية. أمّا الفلاسفة فيرون بأنَّ العلم عبارة عن المعرفة ويطلقونه أحياناً على مبدأ انكشاف المعلوم. حظی العلم والمعرفة من حيث الماهية والوجود وكيفية الحصول باهتمام الفلاسفة من قديم الزمان؛ فقد اعتبر سقراط أنَّ العلم هو السبيل الوحيد للمعرفة وأقام له الكثير من الاعتبار كما رأی بأنَّ حقيقة العلم تتمثل بما يدركه العقل وأنَّ الأعمال الحسنة مبنية عليه؛ أمّا أفلاطون فقد اعتبر أنَّ العلم الحقيقی هو العلم بحقائق الأشياء. «ويرى بعض من العلماء المسلمين فی تفسير العلم وتقسيمه أنَّه مكوّن من نوعين: العلم المكتسب والعلم الممنوح من قبل الله تعالى لخواص عباده وبناءً على ذلک فقد قاموا بتقسيم العلوم إلى نوعين: العلوم الظاهرية التی تحصل عن طريق القراءة والتعلم، والعلم بأسرار السلوک والحقائق الروحية بين الله تعالى وأوليائه والتی لا يكتسبه لا ملاک مقرب ولا عبد من عباد الله، بل يوحی الله سبحانه وتعالى به مباشرة إلى روح العبد وقلبه وهو غير موجود فی القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسائر الكتب ولا يأتی عن طريق الدراسة والتعلم.» (الفاخوری، ١٩٩٤م: ٥٨٩) فالمؤمنون والذين أوتوا العلم يحظون بالدرجة السامية ذاتها: ﴿يَرفع الله الذين آمَنوا منكم والذين اُوتوا العِلم درجات﴾ (المجادلة: ١) ﴿قل هل يَستوی الذين يَعلمون والذين لايَعلمون﴾ (الزمر: ١١) ﴿إنَّما يَخشی الله مِن عِباده العُلماء﴾ (فاطر: ٢٨)

«وقد ذكرت مفردة العلم ٩٤ مرة فی القرآن الكريم أمّا مشتقاتها فقد جاءت مرات كثيرة.» (عبد الباقی، ١٩٩٥م: ٦٠٧-٦٠٨) «أشير فی القرآن الكريم أكثر من مائة وخمسين مرة إلى العلم والمعرفة وفضيلة العلماء.» (حلبی، ١٩٩٤م: ١٦٠) كما حثَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام الناس على طلب العلم قائلاً: «اُطلبوا العلم ولو فی

الصين.» (هجويرى، ١٩٥٧م: ١١) كما قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم.» (فروزان فر، ٢٠٠٨م: ٥٦٧) كما قال عليه السلام مبيناً أنواع العلم: «العلم علمان، علم فى القلب فذلک العلم النافع وعلم فى اللسان فذلک حجة الله على العباد وقال العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان.» (كراجكى، ٢٣٩ق: ٤٤٩)

أما بالنسبة لماهية العلم وأنواعه، فقد كان للعلماء المسلمين وجهات نظر متعددة: «اختلف العلماء حول ماهية العلم، حيث يقول المتكلمون بأنَّ العلم كلام يبلغ المرء من خلاله معرفة الله تعالى والفقهاء فيقولون بأنَّ العلم فقه يبين الحلال من الحرام أمّا المتصوفون فيقولون بأنَّ العلم حالة من حالات القلب تهدى العبد إلى الله سبحانه وتعالى.» (الغزالى، ٢٠١٠م: ١٢٤) ويقول ناصر خسرو قبادیانی، الفيلسوف والمتكلم الإسلامى، حول فئات الناس بأنَّ العلماء هم أسمى فئة من فئات البشر[١] ويرى بأنَّ البحث عن العلم وبلوغه يقتضى معرفة ماهيته: «يجب أن يعرف المؤمن فى البداية ما هو العلم لكى يعرفه ويسعى فى طلبه. من لا يعرف شيئاً فلن يبلغه، فالعلم إدراک الأشياء والأشياء والوجود تحته.» (ناصر خسرو، ٢٠٠٥م: ٢٦) وينتقد العارفون المسلمون الذين ارتووا من ينابيع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، العلمَ الظاهرىَّ؛ لأنَّه يتطابق مع العقل ويجول فى عالم المادة: «من دون شک، ينتقد العارفون الأشخاصَ الذين يعتقدون بأنَّ الأبواب قد فتحت لهم وعثروا على الحل لمشاكل العالم بأجمعه عبر التبحر والتخصص فى فرع من فروع العلوم الظاهرية.» (يثربى، ١٩٨٩م: ٢٠٨) ويقيم العارفون اعتباراً كبيراً للعلم الحقيقى كما يعتبرون الجهل به بلاءً. يقول الشوشترى: «ما من بلاء يحل بالإنسان أعظم من الجهل.» (عطار، ٢٠٠٤م: ٣٥١) ومن العلماء من يعتبر العلم أربعة أقسام: «علم بنى آدم، وعلم الملائكة، وعلم المخلوقات والموجودات، وعلم الله تعالى وهو العلم المكنون.» (الهمدانى، ٢٠١٠م: ٥) ويرى مؤلف مصباح الهداية مستنداً إلى آية النور: ﴿أنَّ العلم نور يمنحه الله لمن يشاء من عباده﴾ (النور: ٣٥) والعلم شيء يمتاز به الإنسان عن سائر المخلوقات لأنَّه أساس المعرفة: «المقصود بالعلم نور مقتبس

١. دو مرد است مردم: توانا ودانا
جز اين هركه بينى به مردمش مشمر
(الناس نوعان قادر وحكيم)

عــن مشــكاة النبوة فى قلب العبــد يهتدى به إلى الله تعالى وهــذا العلم وصف خاص للإنسان وإدراكاته الحسية والعقلية خارجة عنه، والفرق بين العقل والعلم أن العقل نور فطرى يميز الصلاح عن الطلاح، والخير عن الشــر وهو مشترک بين المؤمن والكافر أمّا العلم فهو خاص بالمؤمنين.» (عز الدين كاشانى، ١٩٩٣م: ٥٦-٥٧)

«ويقســم العلم من حيث الإطلاق والتحديد إلى نوعين: علم الخالق وعلم المخلوق؛ فعلــم الله الخالق لا ينتهى مطلقاً ولا يزول، أمّا علم الإنســان المخلوق فهو زائل: علمه صفته وبه قائم وليس لصفته نهاية وعلمنا صفتنا وبنا قائم وصفاتنا محدودة.» (هجويرى، ١٩٥٧م: ١١٣) وقد أشــار ابن عربى فى اختلاف العلم والمعرفة إلى هذا التقسيم قائلاً: «المعرفة خاصة بالوحدانية وهى أشرف صفات الواحد الأحد. أمّا العلم فتارة يعود إلى الوحدانيــة وطوراً إلى غيرها.» (ابن عربى، ٢٠٠٢م: ٦٣٦) كما يرى عين القضاة «بأنَّ المعرفة فى الدنيا بذرة لقاء الله تعالى فى الآخرة.» (عين القضاة، ٢٠١٠م: ٥٦)

العلم وأنواعه من وجهة نظر مولانا جلال‌الدين الرومى

درس جلال‌الدين الرومى العلم من وجهات نظر مختلفة، ولم يخالف المعرفة الظاهرية التى عبر عنها العارفون بالعلم ولكنَّه اعتبر أنَّ بلوغها يســتدعى تهذيب الأخلاق، كما رجــح البصيرة على المعرفة: «قال مرة لفقيــه جاء ليؤدى الاختبار: ابق بعد ذلک عالماً وابدأ ســعيک لكى تصبح بصــيراً.» (زرين كوب، ٢٠٠٥م: ٣٢٩) ويعتبر أنَّ الإنســان الكامل هو من تحرر من قيد الجســد وصقل الروح وبلغ هذا النوع من العلم، كما يرى بأنَّه يجب تعلم العلم الذى لا حاجة بنا لتركه:

پس چرا علمى بياموزى بمرد كش‌بپايدسينه‌راز آن پاک‌كرد؟

(مولوى، ٢٠٠٦م: ١١٢٦/٣)

- فلماذا تتعلم العلم الذى ستتخلى عنه فيما بعد.

ويعتــبر مولانا أنَّ العلم الحقيقى يتمتع به أنبياء الله وأولياؤه وهو يحصل عبر المعرفة التى تنجم عن الوحى، والكشــف، والشهود، والمكاشــفة والتى تختلف عن المعرفة التى تحصل عبر العقل. إنَّ العلم يترافق مع شــهود المعرفة، وبدونه لا يمكن اختيار الســبيل

الحقیقی للحیاة وبلوغ الکمال، وهو العلم المناسب لمن یبتغی الکمال حیث یرشده إلی معرفة ذاته:

جان جمله علم‌ها این ست، این که بدانی من کی ام در یوم دین[۱]

(المصدر نفسه: ۲٦٥٥/۳)

- إنَّ جوهر هذه العلوم وغایتها تتمثل فی معرفتک لی یوم الدین.

وقیل فی الفرق بین العلم والمعرفة: «العلم ناتج عن العقل والفکر، أمّا المعرفة فهی ناتجة عن البصیرة والتی تحصل عن الجهاد والریاضة.» (یثربی، ۲۰۰۸م: ۲۰٦) کما یعتبر مولانا أنَّ المعرفة ثمرة الزهد:

جان شرع وجان تقوی عارف است معرفت محصول زاهد سالف است

زهد اندر کاشتن کوشیدن است معرفت آن کشت را روییدن است

(المصدر نفسه: ۲۰۹٥/٦-۲۰۹٦)

- العارف روح الشریعة وروح التقوی والمعرفة نتیجة الزهد.

- الزهد غرس شجرة الجهاد والریاضة، والمعرفة ثمرة تلک الشجرة.

ویعتقد مولانا بأنَّ العلم غیر مذموم بذاته، لکنَّ المذموم هو نتائجه التی تتمثل فی التکبر، والغرور، والحسد والتی تصیب العلماء غیر المهذبین وتنتاب المجتمع ولا تعود علیه بفائدة. ولذلک فقد قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «أعوذ بک من علم لا ینفع» والعارف یمدح العلم الذی یقترن بالعمل وإلّا فإنَّ «المتعبد بلا فقه کالحمار الذی یدور بالطاحونة.» (هجویری، ۱۹۷۹م: ۱۹/٤۹۸-۲۰) والعلم المکتسب بناءً علی قبول الخلق علم مذموم:

چون پی دانه، نه بهر روشنی است همچو طالب علم دنیای دنی است

طالب علم است به هر عام وخاص نی که تا یابد از این عالم خلاص

(المصدر نفسه: ۲٤۳٦/۲)

- إنَّ البحث عن الجوهر فی طریق مظلمة کطلب الإنسان للعلم الدنیوی.

---

۱. «یعبر روزبهان بقلی عن المعرفة بالعرفة الربوبیة فی کتاب شرح الشطحیات قائلاً: المقصود بالمعرفة الربوبیة معرفة الله تعالی وقد عبر عنها بالحکمة الخاصة بالمؤمنین وهی ضالة المؤمن.» (بقلی، ۱۹٦٥م: ۳۹)

– لن ينجح طالب العلم عاماً كان أم خاصاً إلّا عند تحرره من هذا العالم.

كما يرى مولوى بأنَّ الإنسان يتميز عن الحيوان بالظن والعلم واليقين الناجم عن العقل والفكر، رغم أنَّ تلك المزايا مصنفة ضمن درجات ويشير إلى السبل المتنوعة التى يمكن عبرها بلوغ العلم والمعرفة:

١. الظن والخيال

الظن فى اللغة معروف وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الظن الذى لا يبلغ بالإنسان مكاناً: «وما لهم به من علم إن يتبعون إلّا الظن وإنّ الظن لا يغنى من الحق شيئاً» (النجم: ٢٧–٢٨) و يعتقد مولوى أنَّ الظن، والعلم، واليقين سبل ثلاثة لإثبات التمايز بين الإنسان وسائر المخلوقات ويرى بأنَّ الظن سبيل ضعيف لإدراك الحقائق ويستند إلى الآية الكريمة أعلاه:

از حق اِن الظن لايَغنى رسيد مركب ظن برفلک‌ها كى دويد

(مولوى، ٢٠٠٦م: ٣٤٥٨/١)

– لا يمكن للظن أن يبلغ بک الحقيقة فمتى بلغ الظن بصاحبه العلا؟

لا يتمتع الظن بالقدرة على بلوغ الحقائق، ولا يخلو ما يبلغه بصاحبه من الخلل والخطأ. لا ولا يتمتع الوهم والفكر والشعور كذلک بقدرة تذكر حيث يلجأ مولانا إلى التمثيل والتشبيه لكى يبين لنا عجزها فيشبه الوهم والظن بالقصبة عديمة الروح التى يركبها الطفل دون أن يكون موجهاً جيداً لها. وبما أنَّ عجز هذا المركب أمر جلى، فلا يعتمد عليه طلاب الحقيقة لأنَّه ليس أكثر من خيال لن يبلغ بهم المكان المطلوب:

وهم و فكر و حس و ادراک شما همچو نى دان مركب كودک هلا

(المصدر نفسه: ٣٤٦١/١)

– إنَّ الوهم، والفكر، والشعور كالقصبة التى يركبها الطفل دون إتقان.

ويشبه العلم بالطائر ذى الجناحين مقارناً إيّاه بالظن الذى يعتبره طائراً بجناح واحد ويقدم لنا هذا التشبيه بصوره الشعرية العرفانية، ويرى بأنَّ الظن لو تحول إلى علم فسوف يحلق بصاحبه إلى العلا. ولا يمكن للظن أن يماثل العلم فى قدرته:

علم را دو پر، گمان را یک پر است　　ناقص آمد ظن، به پرواز ابتر است
باز بر پـرد دو مرغ یک پر زود　　افتد سـرنگون گامـی یا فزون
افت وخیزان می‌رود مرغ گمان　　بـا یکـی پر بـر امید آشـیان
چون ز ظن وارست، علمش رونمود　　شد دو پر آن مرغ یک پر، پر گشود[1]

(المصدر نفسه: ١٥١١/٣-١٥١٤)

- العلم طائر ذو جناحين والظن طائر ذو جناح وحيد ولذلک كان الظن ناقصا وأبتر.
- لن يستغرق الأمر طويلاً حتى يسقط الطائر وحيد الجناح حتى لو تقدم خطوتين أو أكثر.
- وطائر الظن ذو الجناح الوحيد يطير مترنحاً دون سبيل آملاً بلوغ غايته.
- فإذا تحول من الظن إلى العلم فسوف يتحول جناحه الوحيد إلى جناحين اثنين.

٢. العلم

اسـتعان مولوی بالمعارف الإسـلامية فی أفكاره وشـبه العلم على اتساعه بالبحر المترامی الأطراف وتطرق إلى هذا البحث بالاسـتعانة بالحديث الشـريف، فاستند فی وصفه لاتسـاع العلم إلى الأحاديث المنقولة عن الرسـول الكريم بالإضافة إلى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «منهومان هما لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا.» (نهج البلاغة، الحكمة رقم ٤٤٩)

علـم دریایـی بـی حدوکنار　　طالب علم است غواص بحار

---

١. با دو پر بر می‌پرد چون جبرئیل　　بی گمـان و بی اگر بی قال و قیل
(المصدر نفسه: ٣/ ١٥١٦)
آدمی را فربهی هست از خیال　　گر خیالاتش بود صاحب جمال
(المصدر نفسه: ٥٩٦/٢)
ور خیالاتش نماید ناخوشـی　　می‌گذارد همچو موم از آتـشی
در میان مار و کژدم گر تو را　　با خیالات خوشـان دارد خدا
(المصدر نفسه: ٥٩٧/٢-٥٩٨)

شرح الأبيات: (يحلق بجناحين مثل جبريل دون تردد؛ إن الإنسان كتلة من الخيال ورغم أنه يعثر على الجمال فی مخيلته إلا أنه لو عرف حقيقة هذا الخيال لأدرک أنه يذوب كالشـمع فی النار والله يجعلک سعيداً بما لک من أخيلة حتى لو كنت بين الأفاعی والعقارب)

گرهزاران سـال باشد عمر او او نگردد سیرخودازجسـتجو
کان رسول حق بگفت اندربیان ایـن که منهومان هما لایشبعان

(مولوی، ٢٠٠٦م: ٦/٣٨٩٤-٣٨٩٦)

- العلم بحر مترامی الأطراف وطالبه غواص؛
- لو أمضی فیه آلاف السنین لما عاد مرتویاً منه؛
- وکما بین رسول الحق فطالب العلم وطالب الدنیا منهومان لا یشبعان.

ولقد ذکر العلم فی مثنوی معنوی بمعان مختلفة فقد وصف الله سـبحانه وتعالی نفسـه بالعلیم ومن هنا تتبین وسـعة العلم حسب الحدیث النبوی الشریف والفرد الذی یسعی للتشـبه بالله تعالی یبلغ العلم الواسـع والمقصود بالعلم فی شروح مثنوی المعرفة ولیس العلم المکتسـب والظاهر. ویقسم العلم بشکل عام إلی دنیوی وأخروی وکل علم لیس بدنیوی فهو أخروی مرشد للإنسان یحرره من هذه الدنیا الظاهریة. علم الآخرة لا یزول بزوال الجسم ویقود صاحبه إلی السعادة الأخرویة.

پس دراین قسمت چوبگماری نظر غیر دنیا باشـد این علم، ای پدر
غیر دنیا پس چه باشـد؟ آخرت کت کند زین جا و باشد رهبرت

(المصدر نفسه: ٦/٣٨٩٨-٣٨٩٩)

- یا بنی إذا أمعنت النظر جیداً فی هذا الجزء وجدت أنّ علمک غیر دنیوی؛
- فما هو العلم غیر الدنیوی؟ إنَّه العلم الأخروی الذی یقودک إلی الکمال.

العلوم الظاهریة

وصـف مولوی العلـوم الظاهریة بأسماء متعـددة منها العلم التقلیـدی، والتعلیمی، والرسمی، والکلام، والبحث، والکتاب، والعلم الحصولی، والسـحر، والفلسـفة، والعلم الحیوانـی، والشـعوری، وغیرها وذکر لـکل منها جوانبه المختلفـة. المعرفة مزیة ترفع الإنسان عن سائر الکائنات ولذلک فقد منح العلم بالأسماء إلی الإنسان وحده، وترک العلم والابتعاد عنه آفة من کبری آفات الکمال:

آفتـی نبود بتر از ناشـناخت تو بر یار و ندانی عشق باخت

(المصدر نفسه: ٣/٣٧٨٢)

– ليســت هنالک آفة أكبر من الجهل وعدم المعرفة، فهل من الصواب أن تكون عند الحبيب ولا تعرف كيف تغازله.

وترتكز الحركة والسلوک على المعرفة والتى تعتبر الوادى الثالث من وديان العرفان، وهى التى تستقطب الســالک العاشق من المجاز باتجاه المعرفة وتجعل بلوغ الوجهة أمراً ممكناً، شرط التحرر من المجاز، ومن المسلم به أنَّه لا يمكن للعلم الدنيوى أن يبلغ بالسالک وجهته لأنَّ همة السالک ترتبط بتحرره من عالم الحسيات ودخوله العالم الحقيقى ولذلک فإنَّ أى علم يؤدى إلى انشــغال الحس والابتعاد عــن الحقيقة، علم مرفوض وإذا كانت العلوم الدينية تقتصر على كســب القوت وتشــغل الإنســان عن البحث عن الحقيقة فإنَّ صاحبها يبحث عن الدنيا الوضيعة. إنَّ العلم الذى يهتم بجســم الإنســان وهوى النفس يسمى علم أهل الجسد؛ حيث يتحمل طلابه عناء التعلم دون فائدة ترجى وعلم الجسد هو العلم الظاهرى والتقليدى الذى يشكل عبئاً على الإنسان فيسبب له الأذى:

علم‌هــای اهل دل حمالشــان علم‌های اهل تن احمالشــان
علم چون بر دل زنی یاری شود علم را برتن زنی ماری شــود

(المصدر نفسه: ٣٤٦٢/١-٣٤٦٣)

– إن علم أهل القلب سند لهم أمّا علم أهل الجسد فهو عبء عليهم.

– وعلم أهل القلب حبيب لهم أمّا علم أهل الجسد فهو يلدغهم كالأفعى.

يبلغ الإنســان العلم الظاهرى عبر تحصيل التعاليم وحفظها؛ كما أنَّ أصحاب العلوم الظاهرية غالباً ما يعانون من الشــک والترديد ولا تشكل لهم علومهم هذه إلّا الأعباء الثقيلة. ويذكر الله سبحانه وتعالى هذا النوع من العلوم فى القرآن الكريم ويشبه حامليها بالدواب التى تحمل الكتب ولا تفقه منها شيئاً وهذا النوع من العلوم علم مذموم يشير إليه مولانا بالاســتناد إلى الآية الكريمة: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ (الجمعة: ٥)

گفــت ایــزد یحمــل اســفاره بار باشــد علم کان نبود ز هو
هین مکش بهر هوا این بارعلم تا شوی راکب تو بر رهوار علم

(مولوى، ٢٠٠٦م: ٣٤٦٤/١ – ٣٤٦٧)

– قال الله تعالى بأنَّ من يحمل العلم الذى لا يستفيد منه فهو كالحمار يحمل أسفاراً فلا تحمل هذا العبء إلى كل مكان بل دعه يحملك.

«هذا النوع من العلوم والفنون يبنى الإنسان المادى وهو العلم اللازم لبقاء الدواب. أى أنَّ العلوم الدنيوية تجعل من حياة البشر حياة تشبه حياة الدواب.» (زمانى، ٢٠١٠م: ٤٤٥/٤)

این همه علم بنای آخور است که عماد بود گاو و اشتر است
بهر استبقای حیوان چند روز نام آن کردند این گیجان رموز

(مولوى، ٢٠٠٦م: ١٥١٨/٤ – ١٥١٩)

– إنَّ العلوم الدنيوية تجعل من حياة البشر حياة تشبه حياة الدواب؛

– ولا شأن لها سوى الحفاظ على حياة الحيوان لعدة أيام.

يعتبر الجهلاء أنَّ علوم الحفاظ على الإنسان الحيوان لعدة أيّام من الأسرار «إنَّ المتبحرين فى رموز العلوم الظاهرية ليس لهم من حافز سوى الحفاظ على النفس البهيمة وتعظيمها.» (نيكلسون، ١٩٩٥م: ١٥١٩/٤) وهذا النوع من العلوم عاجز عن كشف الحقائق وهو عماد بقاء الحيوانات ويطلق عليه "الرموز" ولكن لا يمكن بواسطته بلوغ المعرفة الحقيقية وهو يندرج ضمن نطاق علم القيل والقال وبما أنَّه يؤدى إلى التكبر والغرور ويمنع بلوغ الكمال فهو يحجب الطريق عن السالك، وهو ذاته العلم الظاهر عديم الروح الذى لا يهتم إلا بظاهر الأشياء ولا يتبع صاحبه إلا الظاهر ولا يسعى إلا إلى الشهرة:

علم گفتاری که آن بی جان بود عاشق روی خریداران بود
گرچه باشد وقت بحث علم زفت چون خریدارش نباشد، مردورفت

(مولوى، ٢٠٠٦م: ٢٤٤٢/٢-٢٤٤٣)

– العلم الظاهرى عديم الروح ولا يهتم إلا بظاهر أصحابه؛

– وهو حى طالما بقى صاحبه حياً لكنه يزول بزوال صاحبه.

وهذه العلوم ذات مظهر خاص ولكن عدم وجود مشترٍ لها يؤدى إلى زوالها؛ «وهذا ما يشير إلى أنَّها علوم دنيوية لكنَّ العلوم الحقيقية ومعرفة النفس، ومعرفة الله، والمعاد، والقيامة لازمة كانت أم متعدية فهى الحياة ذاتها ولا زوال لها.» (سبزوارى، لاتا:

١٥٢) أمّا علم القيل والقال فهو كاللعبة فی يد الأطفال جذاب ومحبب: «هذا النوع من العلوم لعبة وعمر ضائع بالنسبة لأحوال الفقراء كما قيل فإنما الدنيا لعب. وعندما يبلغ الإنسان أشدّه فعليه أن يترک اللعب؛ وإذا لعب فلن يفعل ذلک أمام الآخرين حياءً منه. إنَّ علم القيل والقال وهوس الدنيا كالتراب فی يد الإنسان وكالرياح التی تهب وتنقل معها التراب والغبار فتتعب العيون ولا تسبب شيئاً سوى الاضطراب.» (مولوی، ١٩٩٠م: ١٤٥) والعلم البحثی والرسمی اسم آخر من أسماء العلم التقليدی وينظر إليه مولوی بعين الاحتقار؛ لأنَّه وبدلاً من الكشف عن المجهول فهو يدخل الإنسان فی متاهات البحث والجدل ويخفی ما هو جلی تحت حجاب الاستدلال والاحتجاج ويمنع العثور على الحقيقة. إنَّ العلم البحثی يثير فضول الباحث والفيلسوف ويمنع السالک من التسليم بمفهوم ومضمون الوحی ورغم أنَّ براهين أهل الكلام تقنع العقل إلّا أنَّ الاعتماد التام على الوحی لا ينجم عن طريق العلم البحثی وقياسات المتكلمين والقيل والقال الخاص بالباحثين والمتفلسفين، وحتى لو كان العلم البحثی مأخوذاً عن علم الأنبياء ولكنه عاجز عن النفوذ إلى ما وراء عالم الحسيات نظراً لارتباطه بالشؤون المعيشية، ولهذا السبب فهو علم حيوانی؛ ورغم هذا يعتبر مولانا أنَّ العلم البحثی كسائر المهن مستوح من الوحی:

جمله حرفتها يقين از وحی بود اول او ليک عقل آن را فزود

(المصدر نفسه: ١٢٩٧/٤)

– لا شک أنَّ كافة المهن مأخوذة عن الوحی وأولها العقل.

وينسب مولانا منشأ العلوم المادية والبحثية كالفلک والطب إلى الوحی وهی أساس استمرار الحياة البشرية ويعتقد أنَّ العقل البشری يتطرق إليها بعد تلقی المبادئ والأصول:

ايـن نجـوم و طب وحی انبياست عقل وحس را سوی بی سوره كجاست

(مولوی، ١٣٨٥ش: ١٢٩٤/٤)

– إنَّ الفلک والطب من وحی الأنبياء، تسير بالعقل على غير هدى.

ويعتبر مولانا أنَّ هذه العلوم شیء لا يذكر من بستان العلوم الإلهية ويطلق عليها ساخراً العلوم الطريفة لأنَّها المطلوبة من قبل الإنسان وتمنع بلوغ العلم الحقيقی والأصل والمنشأ:

علم‌هـــای بامـــزه‌ی دانســـت همان زان گلستان یک دو سه گل دسته دان

(المصدر نفسه: ٤٦٦٤/٦)

– إن تلک العلوم الطريفة ليست إلّا زهرة من بستان العلم الحقيقی.

وقد ذكر العلم التقليدی والبحثی فی مثنوی بشكل متكرر، وتم التأكيد على ارتباطها بالدنيا وبعدها عن السماء السابعة:

خرده کاری‌های علم هندســه یا نجوم و علم طب و فلســفه

که تعلــق با همین دنییســتش ره بــه هفتم آسمان‌بر نیســتش

(المصدر نفسه: ١٥١٦/٤–١٥١٧)

– إن علوم الهندســة، والفلک، والطب، والفلســفة، وغيرها من العلوم المرتبطة بهذه الدنيا بعيدة عن السماء السابعة.

ومن البشــر من يلجأ إلى السحر لكی ينجز أشياء عجيبة ومذهلة لكنَّ مولوی يری تلک الفنون فی منزلة واحدة مع الفلسفة:

علم نیرنجات و سحر و فلسفه گرچه نشناســند حــق المعرفه

لیک کوشیدند تا امکان خود برگذشــتند از همه اقران خود

(المصدر نفسه: ٢٧٦٤/٥–٢٧٦٥)

– العلم نجاة، والسحر والفلسفة رغم أنهما لن يبلغان حق المعرفة إلّا أنَّهما يحاولان التفوق على أقرانهما.

فی هذا النوع من العلوم يســعی العالم إلى المعرفــة الحقيقية بين الكتب ولكنَّ العلم الحقيقــی ليس موجوداً فی الكتب كما أنَّ حــلاوة الحقيقة لا تأتی من الحلوی[1] ويطلق على هذا العلم الحصولی الذی يقابل العلم الوهبی، اســم علم الدراسة: «علم الدراسة هــو العلم الذی لا يمكن العمل به مالم تتم قراءته وتعلمه.» (ســجادی، ۲۰۱۰م: ۵۹۱) وينشــأ العلم الحصولی من الشعور وهو يمنع الإنسان من بلوغ اليقين ومن هذا المنطلق لا يمكن لأهل الشــعور أن يســمعوا الصوت الذی يطن فی آذان الأنبياء. إنَّ علم أهل

١. علم جویی از کتب‌ها ای فســوس ذوق جویی تو ز حلوا ای فسوس

(المصدر نفسه: ٣٥٧٩/٥) (لن تبلغ العلم من خلال الكتب ولن تذوق حلاوة الحقيقة من الحلوی)

الشعور يوفر لهم المهن للعمل بها لكنه يمنعهم من تذوق العلم الحقيقى:

علم‌هاى اهل حس شد پوزبند تــا نگيرد شــير زان علم بلند

(مولوى، ٢٠٠٦م: ١٠٢٢/١)

- إنَّ علوم أهل الحس والشعور تشبه إغلاق الفم عن الارتواء بمياه الحقيقة.

نشنود آن نغمه ها را گوش حس كز ستم ها گوش حس باشد نجس

(المصدر نفسه: ١ /١٩٣١)

- لا يمكن لأهل الشعور أن يسمعوا الصوت الذى يطن فى آذان الأنبياء.

يأتــى العلم الظاهرى عن طريق الحفظ ولذلــک فهو تقليدى وتعليمى ويجول ضمن نطاق المادة فحســب كما يلبى حاجات البشر. تؤدى هذه العلوم إلى عزة الروح وتشبه الســلع التى يســتأمن عليها الإنسان بينما يعتقد أنَّها نشــأت عن وجوده غافلاً عن أن العلوم التقليدية مفروضة:

علــم تقليدى بود بهــر فروخت چون بيامد مشترى خوش برفروخت

(المصدر نفسه: ٣٢٧٥/٢)

- العلم التقليدى كبيع السلع إلى الزبائن حيث يفرح صاحبه بمجيئهم.

إنَّ ما أدّى بمولانا إلى اعتبار العلم التقليدى وبالاً على صاحبه هو أنَّ صاحبه يعتبره أداة لصيد العامة وجذبهم وعندما يعرض زبائنه عنه يستاء مما يشكل حاجزاً بينه وبين الحقيقة ويمنعه من التحرر من عالم الحسيات: «إنَّ العلم الذى يؤدى إلى اجتذاب الخلق وطلب الشــهرة بين العامة يســبب التعب للإنسان ويضغط على روحه كالصخرة ويمنعها من التحليق.» (زرين كوب، ١٩٩٤م: ٥٢٦)

وعلى كل حال يشــبه صاحب العلم البحثى الطائــر العالق بالمصيدة والذى يحاول الهرب منها غافلاً عن عجزه عن الطيران:

همچو مرغى كو گشايد بند دام گاه بنــدد تا شــود در فن تمام

(المصدر نفسه: ٣٧٤٦/٢)

- إنَّ صاحب العلم الدنيوى كالطائر الذى علق فى المصيدة يحاول التحرر منها.

يشــبه مولانا العالم المغرور بالطفل الذى يعتبر ملابسه مثل العنان ويتخيل أنَّه يتطى

مركباً ولكنه فی الحقيقة هو الذی يمتطی، فيحذر مولانا قائلاً:

باش تا روزی که محمولان حق اسب تازان بگذرند از نه طبق

(المصدر نفسه: ۳٤٥٥/۱)

ويشبه صاحب العلم الذی تقيده الحواس الظاهرية بالدودة التی لا ترغب بالخروج من التفاحة وبالتالی تغفل عن العالم الخارجی، والسموات، والأرض مثل التفاحة أمّا صاحب هذا العلم الذی تقيده الحواس الظاهرية فهو مثل الدودة:

آسمان‌ها و زمين يک سيب دان کز درخت قدرت حق شد عيان

(المصدر نفسه: ۱۸٦۹/٤)

– العلم الذی تقيده الحواس الظاهرية كالدودة التی لا ترغب بالخروج من التفاحة وبالتالی تغفل عن العالم الخارجی والسموات والأرض.

وهنالک حكايات فی مثنوی تشير إلی رفض العلم البحثی وتأييد العلم الواقعی الذی يحجبه الوهم والظن ومنها قصص الروم والصينيين فی علم الرسم والتصوير، والنحوی وحارس السفينة، والأطفال ومعلم القرآن، وموسی والراعی، وقصة زيد وسؤال الرسول وغيرها.

العلوم الباطنية

من وجهة نظر مولانا، يتكون العالم من الأضداد وكما يقال فالشیء يعرف بضده وبذلک يعرف النور بالظلمة والفرح بالترح ولأنَّ الله تعالی ليس له ضد فلا يمكن إدراكه.

پس نهانی‌ها به ضد پيدا شود چون‌که‌حق‌رانيست‌ضدپنهان‌بود

(مولوی، ۲۰۰٦م: ۱۱۳۷/۱)

– وبضدها تتميز الأشياء لكنَّ الله ليس له ضد ولذلک فهو مستتر.

إنَّ معرفة الله تعالی خارجة عن مقدرة الحواس الظاهرية والباطنية للإنسان فكما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ما عرفناک حق معرفتک» وعلی كل حال فاللعلم والمعرفة من وجهة نظر مولانا درجات وكلّما ابتعدا عن الحواس الظاهرية واقتربا من مجال العين ارتقيا إلی معرفة الله والكمال الحقيقی ولذلک فهو يری أنَّ

التوقف ضمن نطاق الحس يحرم الإنسان من إدراك العين ولن يمكن لأهل الشعور أن يسمعوا الصوت الذى يطن فى آذان الأنبياء.

نشنود آن نغمه‌ها را گوش حس کز ستم‌ها گوش حس باشد نجس

(المصدر نفسه: ١٩٣١/١)

– لا يمكن لأهل الشعور أن يسمعوا الصوت الذى يطن فى آذان الأنبياء.

ويرى بأنَّ للعارفين وراء عالم الحس ساحة من السعادة يعودون إليها وينحصر همهم بترک الدنيا والعودة إلى موطنهم الأولى وأنَّهم مستعدون لنيل الكمال والمعرفة. ويعتقد بأنَّ سبيل النجاة يتمثل فى ترک الملذات الدنيوية لأجل بلوغ المكان المطلوب، ولذلک تلزمه العلوم التى توصله إلى ذلک المكان؛ فالعلوم التى ترتكز على الحواس الظاهرية لا يمكنها أن تبلغ بالإنسان مكاناً ويرى أنَّ وراء العلم الظاهرى وعى غير مكتسب ورحمة ونور يدخل قلب العبد. ولأجل معرفة أوسع من المعرفة الظاهرية، يلزم الألم، والألم يستلزم الوعى وهذا ما يدخل إلى قلب الإنسان معرفة الحق تعالى حيث يقول سبحانه: ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ٣١)

اى برادر تو همه انديشه‌اى مابقى خود استخوان و ريشه‌اى

(المصدر نفسه: ٢٧٨/٢)

– أيّها الإنسان لا أهمية لجلدک وعظمک فإنک حىّ بالأفكار.

ويعتبر مولوى مفسراً الآية الكريمة أنَّ الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى تشرف بمعرفة الأسماء كلها ولذلک يصفه بعبارة علم الأسماء:

بوالبشر کو علم الاسما بگست صدهزاران علمش اندر هر رگست

(المصدر نفسه: ١٢٤٠/١)

– الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى تشرف بمعرفة الأسماء كلها.

«"الأسماء" عبارة عن حقيقة الأشياء وهى المعنى الذى تحمله فى علم الله.» (زرين كوب، ١٣٨٤ش: ١٣) لقد خص الله تعالى خليفته بعلم غير سائر المخلوقات والحقيقة هى أنَّ كل شىء مآله إلى الله والإنسان الذى يتبع هذا العلم ورغم ما جاء فى الآية الكريمة ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥) إلّا أنَّ الله تعالى يطلعه على

حقائق الأمور حسبما تقتضى الطاقة البشرية. ويقول مولانا فى تفسير الآية الكريمة ﴿لاعلم لنا إلا ما علمتنا﴾ (البقرة: ٣٢) أنَّ العلم الذى يمنحه الله تعالى للبشر هو العلم اللدنى وهو العلم الحقيقى وكل علم سواه ينبغى أن يطرد من القلب، وفى تفسير آخر لمعنى تعليم الأسماء لآدم، يعتبره وحياً دون كلام وبعد خلقه من الطين والماء ودخوله حجاب الجسم، احتجبت معانى الأسماء خلف الكلام:

علم الاسما بد آدم را امام ليک نه اندر لباس عين و لام

(مولوى، ١٣٨٥ش: ٤/ ٢٩٧٠)

– علم الله الإنسان الأسماء كلّها لكنَّ الأسماء احتجبت عنه خلف حجاب الجسد.

أمّا بالنسبة لأهمية المعرفة، ففى تفسير الآية الكريمة ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ (الأحزاب: ٧٢)، يعبر عن الأمانة الإلهية بالمعرفة والنفخة الربانية والنفس الذى لا ينتهى ولا يمكن لأحد أن يتلقاها سوى الإنسان:

خود ز بيم اين دم بى منتها بازخوان فأبين أن يحملنها

(مولوى، ١٣٨٥ش: ١/ ١٩٧٠)

– لا يمكن لأحد أن يحمل الأمانة الإلهية إلّا الإنسان حيث أبت الجبال أن تحملها.

إنَّ العلم المطلوب للعارف هو العلم الذى يبلغ به الحقيقة ويحرره من هوى النفس والحسيات، وهو علم كشفى وتحقيقى يتجانس مع الوحى ولا ينفيه ولا يدع مجالاً للشک، وهو مبنى على الكشف والشهود ويشبه المركب الذى يحلق بصاحبه الذى أعرض عن الدنيا إلى الأعالى.

مشترى علم تحقيقى حقست دايما بازار او با رونقست

(المصدر نفسه:٢ /٣٢٧٦)

– إنَّ سوق العلم البحثى مزدهر دائماً وزبائنه كثيرون.

والعلم الكشفى، ينقذ صاحبه يوم الموت ويحرره من عواصف الهلاک والضلال. ويطلق على هذا العلم اسم علم الفقر أو علم المحو ويبينها مولانا فى حكاية النحوى وربان السفينة حيث يدفع رجل نحوى بعلمه إلى ربان السفينة وفى لحظة يعتريها التهديد بخطر العاصفة، يمثل علم النحو بمهارة السباحة حيث يلقى السالک فى هذا النوع من

العلم بنفسه إلى البحر ويبلغ حقيقة المحو والفقر وينال البقاء بعد الفناء:

زين همه انواع دانش روز مرگ دانش فقرست ساز راه و برگ

(المصدر نفسه:۱/۲۸٤۹)

– إنَّ علم يوم الموت زينة لكل أنواع العلم وبقاء بعد فناء.

ورغم أنَّ هذه المعرفة لا تبلغ علم الأنبياء، إلّا أنّها من الوحى وعلم الأنبياء خلافاً للمكاشفة يلج قلب العارف خلال أطوار الكمال ولا يحدث ذلک إلا بجهاد النفس وتزكيتها حتى أنَّه قوة قدسية يمنحها الله لبعض عباده وهى تقتضى الحكمة وترتكز إلى الضرورة الناجمة عن الاختلاف فى مراتب العقول والنفوس، والتصوف يعبر عنها باسم وحى القلب:

از پی روپوش عامه در بيان وحی دل گویند آن را صوفيان

(المصدر نفسه: ٤/۱۸۵۳)

– الحكمة ترتكز إلى اختلاف مراتب العقول والنفوس، ويسميها المتصوفون بوحيالقلب.

إنَّ علم أهل القلب مركبهم ومن هذا المنطلق يقال بأنَّ أهل القلب يمتطون علمهم[۱] الذى يقودهم إلى الحق. وهذا العلم ينجم عن الكشف وهو معين وناصر لصاحبه ويبلغ به الشهود ويبين له الحقائق. إنَّ اكتساب العلم الحقيقى بالحواس الظاهرية أمر غير ممكن، لأنَّه يستدعى وجود قلب قوى وبصيرة ولبلوغه يجب أن يستعين المرء بالحواس الباطنية «إنَّ مصدر العلم هو القلب وظهوره يتعلق بالحفاظ على آدابه تعالى، فاعلم إذن أنَّ مصدر العلوم كافة هو الذات الإلهية.» (عز الدين كاشانى، ۱۹۹۳م: ٦۰)

علم‌های اهل دل حمالشان علم‌های اهل تن احمالشان

علم چون بر دل زنی یاری شود علم را برتن زنی ماری شود

(المصدر نفسه:۱/۳٤٦۲-۳٤٦۳)

۱. «العلم الحقيقى مثل الحصان المطيع الذى يقود صاحبه إلى المكان المطلوب ويساعد على التقليل من أعباء الروح حيث يستفيد صاحبه منه. يقول مولوى: يجب التخلص من عبء العلم التقليدى لبلوغ مرتبة العرفان والكمال وعندما يصل المرء إلى تلک المرتبة تسقط عنه أعباء العلوم والمعارف المكتسبة.» (همايى، ۱۹۹۵م: ۱/٤۳۹)

أمّا علم سبيل الحق فهو العلم المنزل وأهل القلب على دراية به وبحقيقته. وهذا هو علم منازل السلوک بذاته حيث يمكن للعارفين فقط أن يبلغونه عبر القلب:

علم راه حق و علم منزلش صاحب دل داند آن را يا دلش

(المصدر نفسه: ١٥٢٠/٤)

– العلم سبيل الحق ومكانه فی القلب إن أدركه صاحب القلب.

والعلم الإلهی يلج أحياناً روح الإنسان ولا يحتاج إلى التعلم وإنفاق الوقت لتعلمه ويعبر عنه بالعلم اللدنی وهو العلم الذی يبلغه العبد دون وساطة من ملک أو رسول كما جاء فی الآية الكريمة ﴿وآتينا من لدنا علماً﴾ (الكهف: ٦٥) «ومصدره الله سبحانه وتعالى حيث يبلغه أهل القرب بواسطة التعليم الإلهی والتفهيم الربانی وليس من خلال الأدلة العقلية والشواهد النقلية.» (تهانوی، ١٨٦٢م: ٢ /١٠٦٦) وهو العلم ذاته الذی أشار إليه تعالى فی سورة النور والذی ينير به قلب من يشاء من عباده كما أنَّه العلم الذی يتمتع به الأنبياء.

«وينشأ علم الأنبياء عن الوحی والإلهام. الإلهام لغةً يعنی الإعلام المطلق وشرعاً عبارة عن إلقاء معنیً خاص فی القلب عن طريق الفيض الذی يلج القلب من الغيب.» (المصدر نفسه: ٢ /١٠٦٦) «أمّا الوحی فيحصل بوساطة وقد استخدمت مفردة التفهيم بالنسبة للأنبياء بمعنى الوحی وتفهيم النفس هو الإلهام ذاته. ومن هذا المنطلق ينسب خواجه عبدالله أنصاری الإلهام إلى الرسل ويطلق عليه الوحی.» (سجادی، ٢٠١٠م: ١٢٦)

هم‌چنان‌كه وسوسه و وحی الست هردومعقولاند،ليكن فرق هست

(مولوی، ١٣٨٥ش: ٣٤٩١/٣)

– الوسوسة والوحی موجودان كلاهما إلّا أنَّهما مختلفان.

إنَّ المعرفة التی تحصل عن طريق الوحی، والإلهام، والشهود، والمكاشفة تتميز عن المعرفة التی تحصل عن طريق العلم والعقل، لأنَّ الثانية معرفة سطحية ولا تتمتع بالمقدرة على رؤية الحقيقة، والأنبياء بشر ذوو قدرة وعلم متميزين، وبصيرتهم تبلغ الحقيقة.

صورت پنهان و آن نور جبين كرده چشم انبيا را دوربين

نور آن رخسار برهاند ز نار هين مشو قانع به نور مستعار

(المصدر نفسه: ٣٢٢٤/٤-٣٢٢٥)

– الأنبياء بشر ذوو قدرة وعلم متميزين، وبصيرتهم تبلغ الحقيقة فيجب على الإنسان أن لايقتنع بالعلم المستعار.

إنَّ العلم الذى يأتى عن طريق الرؤية والمكاشفة والشهود لا يعتريه الشک والترديد وهو أسمى مرحلة من مراحل اليقين، ففى هذه المرحلة من العلم يحل العيان محل الخبر وبلوغ اليقين يستلزم الرؤية والشهود أى أنَّ المعلوم إذا لم يدخل مرحلة المشاهدة والعيان فسوف يبقى فى مرحلة الظن والشک، والزاهد صاحب العلم الإيمانى فى مرحلة العلم وعندما يتحول إلى بصيرة ويقوى بطعم المعرفة يخرج من مرحلة الشک ويبلغ مرحلة اليقين وذلک من خلال التحرر من الأوصاف الجسمانية وهذا النوع من العلم علم الأنبياء وهو علم لدنى مصدره الله تعالى وهكذا تخرج حقائق الدين وأسرار الشريعة إلى الشهود. ومن هذا المنطلق فإن علم اليقين فى القرآن يؤدى إلى عين اليقين:

دید زاید از یقین بی امتهال آنچنانک از ظن می‌زاید خیال

(المصدر نفسه: ٤١٢٥/٣)

– إن علم اليقين فى القرآن ينتهى إلى عين اليقين كما ينتهى الظن إلى الخيال.

«يعتبر مولانا أنَّ من يستسلم لإغراء الخلق أو قوة الوهم الناجمة عن تعظيم الخلق وتكريمهم أو لومهم، لهو مظهر من مظاهر الحمق والجهل كما فى حكاية الأطفال ومعلم الكتاب، فعندما يسألون عن الفرق بين الحق والباطل يشير إلى الأذن على أنَّها الباطل وإلى العين على أنَّها الحق لأنَّ اليقين يحصل بواسطتها وهذه فى الواقع كناية عن أنَّ عين اليقين مشاهدة قلبية ورؤية كشفية. واليقين عبارة عن العلم الذى لا يراود صاحبه شک فيه ولليقين درجات هى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.» (هجويرى، ١٣٣٦ش: ٤٩٧) ومن وجهة نظر القرآن، اليقين ثلاثة أنواع هى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ (التكاثر: ٥) ﴿ثم لترونها عين‌اليقين﴾ (التكاثر: ٧) والعلم المقترن باليقين علم لا ينتابه شک أو ترديد: :«يرى العارفون بأنَّ اليقين عبارة عن ظهور نور الحقيقة فى حالة كشف حجب البشرية بشهادة الوجد والطعم وليس بدلالة العقل والنقل وما دام خلف الحجاب فهم يعتبرونه نور الإيمان ولأنَّه مكشوف عن الحجاب يعتبرونه نور اليقين.» (عزالدين كاشانى، ١٩٩٣م: ٥٢) جاء فى تفاوت العلم

واليقين: «إنَّ ما تراه العين علم وما يراه القلب يقين.» (سجادى، ۲۰۱۰م: ۵۰۱) وقد أشار مولانا إلى آيات من القرآن الكريم تتطرق إلى أنواع اليقين كما يذكر نوعى العلم المذكورين فى سورة التكاثر:

دید زاید از یقین بی‌امتهال آنچنانک از ظن می‌زاید خیال
در الهیکم بیان این ببین که شود علم‌الیقین عین‌الیقین

(مولوى، ۱۳۸۵ش: ۴۱۲۵/۳-۴۱۲۶)

ومنهم من اعتبر علم اليقين علم الإيمان لأنَّه يؤدى إلى تبديل العلم إلى بصيرة: «عندما يبلغ علم الإيمان الذى يعد الزاهد من أهله مرحلة اليقين يرتقى من مرحلة العلم إلى مرحلة البصيرة. وفى تلك الحالة يتعرف الزاهد إلى طعم المعرفة وعندها يرى صورة الواقع التى يعبر عنها بالمشاهدة والبصيرة من خلال ما يسمى باليقين ويختص بأهل المعرفة فى تجربة الشهود والمكاشفة. ومن هذا المنطلق يبلغ علم اليقين الذى أشير إليه فى القرآن الكريم بصاحبه عين اليقين عندما تبلغ معرفته حد البصيرة والمشاهدة وكماله فى ذلک.» (زرين كوب، ۱۳۷۳ش: ۵۳۰/۱) الحجة والبرهان لأجل إثبات أمر ما للآخرين وإذا لم يقبل المستمع هذا الأمر فمن الممكن أن يعرض عنه وبما أنَّ علم اليقين يزيل الحجب عن الرؤية الباطنية «فإنَّ العارف الذى بلغ المعرفة عن طريق المكاشفة وحصل على علم اليقين لن يفكر بإعراض المستمع ولأنَّ إشارة لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً تنتقد نفسها فلو أيده كل الخلق لما زاد يقينه ولو اعتبره الناس ضالاً فلن تهتز شعرة من يقينه.» (المصدر نفسه: ۵۳۰/۱) والعلم الحصولى نابع عن الشعور ويقف بصاحبه فى هذه المرحلة ويمنعه من بلوغ العلم الحقيقى وعلم اليقين. والعلم البحثى يشبه كمامة الفم التى تمنع العجل من رضاعة حليب أمه، وبذلک فإنَّ الباحثين بعلمهم البحثى محرومون من الارتواء بحليب علم الدين الذى يؤدى إلى تنمية الباطن. والحليب هنا فى الحقيقة تعبير عن العلم الذوقى الذى يهبه الله تعالى ويطلق عليه العلم الوهبى. «قال النبى صلى الله عليه و سلم: رأيت ان اشرب اللبن حتى خرج الرى من أظفارى فأعطيت فضلى عمر فأوّلت ذلک بالعلم.» (المصدر نفسه: ۸٦٤/۲ نقلاً عن مقدمة شرح الفصوص لداود قيصرى) العلم الرسمى يحيا بوجود المخاطب لكن العلم الوهبى

ثابت بدونه وهـذا النوع من العلم يمنع الغرور والوهم، بينما يمنع الغرور والعلوم النقلية والمعارف المكتسبة من بلوغ الحقيقة.

ويـرى مولوى أنَّ كل إنسـان طالب للعلم بالفطرة لكى يبلـغ به الحقيقة ويبتعد عن القبائح، وهذا العلم هو ضالة المؤمن:

زين سبب كه علم ضاله مومن است عارف ضاله خود است وموقن است

(مولوى، ۱۳۸۵ش: ٤٥٢٠/٦)

– إنَّ العلم ضالة المؤمن والعارف ضالة نفسه وهو موقن.

«وهـذا العلم هو الحكمة والحكمة تعنى العلم، والمعرفة، والعرفان. واصطلاحاً تعنى الحكمة العلم الذى يبحث حول حقائق الأشياء بمقدار ما للبشر من طاقة.» (جرجانى، ۱۹۹۸م: ۸۱) «والحكمـة هـى العمـل بالعلم «لقد أمر الله تعالى رسـوله بتعليم الناس الحكمة قائلاً: ويعلمهم الكتاب والحكمة.» (ناصر خسرو، ۲۰۰۵م: ۲٤) «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.» (فروزانفر، ۲۰۰۸م: ۱۹۵)

پس چو حكمت ضاله‌ى مومن بود آن ز هـر كه بشـنود موقـن بود

(مولوى، ۲۰۰٦م: ۳٦۰۲/۲)

– الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

والحكمة نوعان :دنيوية و دينية، ومن المؤكد أنَّ مولانا يقصد الحكمة بمعناها الدينى:

حكمت دنيا فزايد ظن و شک حكمت دينى بـرد فوق فلک

(المصدر نفسه :۳۲۱۳/۲)

– حكمة الدنيا لا تتمخض إلّا عن الظن والشک أمّا حكمة الدين فتبلغ بصاحبها العلا.

ويمكـن العثور على هذا النوع مـن الحكمة فى القرآن الكـريم «لقد قبل أصحاب رسـول الله القرآن وأحكامه بلا تتبع ولا تفحص واعتنقوه ولكنَّ إذا غضضنا النظر عن أصحاب رسـول الله فإنَّ حكمة القرآن ضالة المؤمنـين وكل مؤمن يقر ويوقن بضالته» (أنقروى، ۱۹۹۵م: ۹٦۷/۲)

حكمت قرآن چو ضاله مومن است هركسى درضاله‌ى خود موقن است

(مولوى، ۲۰۰٦م: ۲۹۲۰/۲)

– حكمة القرآن ضالة المؤمن وكل شخص موقن بضالته.

يرى مولوى أنَّ كافة العلوم الحقيقية كامنة بين الآيات الإلهية وكل من يبحث عن العلم الباطن، والحكمة، والحقيقة فلا بدّ له من التدبر فى القرآن والتفكر فيه، لأنَّ الحكمة هبة ينعم الله بها على من يشاء ويوفر له سبيل بلوغها من العدم، لكنَّ تلقيها يتوقف على قدرة الشخص وليست ممكنة بالتكرار وهى علم يثبت بالعمل به وتحتاج إلى قدرة حيث يصف مولانا هذا الأمر فى أبيات:

گرچه حكمت را به تكرار آورى چون تو نا اهلى شود از تو برى

(المصدر نفسه: ۳۱۹/۲)

– لن تبلغ الحكمة حتى لو تكررت على أسماعك طالما أنَّك لست أهلاً لها.

النتيجة

لم ينظر مولانا إلى العلم كمعارف زائدة أو فالمحفوظات الظاهرية لا توفر للإنسان السبيل لبلوغ الكمال والحقائق وكشف المجهولات العينية. فهو يرى بأنَّ العلم الظاهر إذا اقترن بالباطن يبلغ بصاحبه مرتبة اليقين. إنَّ مثنوى معنوى تعليم وتلقين لدرس العشق، العشق الذى ينقذ الإنسان من ورطة النقص والغرور، ويبلغ به الكمال الإلهى ويقتضى ترك الغرور والتكبر والعلوم التى تؤدى إليها والتى لا تتوافق مطلقاً مع هذا العشق. أمّا العلم الدنيوى أو البحثى فبدلاً من أن يصل بالعالم إلى المعلوم، يستتر به فى متاهات البراهين والقياسات، ويضع فى طريقه العديد من العوائق، وفى الحقيقة فإنَّ هذا العلم يمنع طالبه من تحقيق الهدف المنشود ويحل على روحه كوبال لأنَّه يعتبره أداة لجذب العامة ولأنَّه أحياناً يقابل بالرفض فهو يؤدى إلى الاستياء. إنَّ جذب الزبائن وكسب الجاه يمنع هذا العالم من التوجه إلى الحق ويضرب بينه وبين الحق حجاباً، ولذلك فإنَّ العلم البحثى والتقليدى يعتبر ذليلاً وحقيراً، لأنه لا يصل بالعالم إلى الحقيقة ورغم أنَّ مولانا يعتبر العلوم البحثية، والرسمية، والدنيوية صغيرة أمام العلوم الكشفية واللدنية، لكنَّه يرى أنَّ تلك العلوم مستمدة من الوحى وبما أنَّها تتوقف بالظن والخيال فهى تشكل عبئاً ثقيلاً يحمله صاحبه لبلوغ الجاه والمقام كما جاء فى القرآن الكريم:

"كمثل الحمار يحمل أسفارا". يعتقد مولانا أن أصل العلوم مستمد من الله تعالى وأی شیء سوی ذلک فان وزائل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغه.

ابن‌عربی، محیی الدین. (۱۳۸۱ش). فتوحات مكيه. ترجمه محمدخواجوی. لاط. لامک: لانا.

ـــــــــ (۱۹۹۳ش). تدبيرات الهيه ابنعربی. تحقيق حسن عاصی. لاط. بيروت: لانا.

انقروی، رسوخ الدين اسماعيل. (۱۳۷٤ش). شرح كبيرانقروی برمثنوی معنوی مولوی. مترجم عصمت ستارزاده. لاط. طهران: زرين.

بقلی، روزبهان. (۱۳٤٤ش). شرح شطحيات. به اهتمام هانری كربن. لاط. لامک: لانا.

تهانوی. (۱۸٦۲م). كشاف اصطلاحات الفنون. لاط. كلكته: چاپ كلكته.

الجرجانی. (۱۳۷۷ش). تعريفات جرجانی. ترجمه سيد عرب و سيما نوربخش. لاط. طهران: فرزان.

حلبی، علی اصغر. (۱۳۸۳ش). جلوه‌های عرفان. لاط. تهران: قطره.

خواجه، ايوب. (۱۳۷۷ش). اسرارالغيوب "شرح مثنوی معنوی". تصحيح محمدجوادشريعت. لاط. طهران: أساطير.

دهخدا، علی‌اكبر. (۱۳۷۳ش). فرهنگ دهخدا. المجلد۱۲و۱۳. لاط. طهران: دانشگاه تهران.

زرين كوب، عبدالحسين. (۱۳۸٤ش). پله پله تا ملاقات خدا. لاط. تهران: علمی.

ـــــــــ (۱۳۷۳ش). سر نی. المجلد۱و۲. لاط. تهران: علمی.

زمانی، كريم. (۱۳۷٤ش). شرح جامع مثنوی معنوی. الطبعة الثانية. تهران: اطلاعات.

ـــــــــ (۱۳۸۹ش). شرح جامع مثنوی معنوی. الطبعة ۲۰. تهران: اطلاعات.

سبزواری، حاج ملاهادی. (لاتا). شرح مثنوی. به كوشش دكتر مصطفی بروجردی. لاط. طهران: سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی.

سجادی، ضياء الدين. (۱۳۷۲ش). مقدمه‌ای برعرفان و تصوف. لاط. طهران: سمت.

سجادی، سيدجعفر. (۱۳۸۹ش). فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفانی. لاط. لامک: طهوری.

عبدالباقی، محمدفواد. (۱۳۷٤ش). المعجم المفهرس "لألفاظ القرآن الكريم". لاط. لامک: انتشارات اسلامی.

عزالدين كاشانی، محمودبن‌علی. (۱۳۷۲ش). مصباح‌الهدايه ومفتاح‌الكفايه. با مقدمه و تصحيح جلال‌الدين همايی. لاط. لامک: نشر هما.

عطار، شيخ فريدالدين. (۱۳۸۳ش). تذكرة الأولياء. تصحيح وتحشيه رينولد نيكلسون. ترجمه مقدمه هاع. روح بخشان. لاط. طهران: اساطير.

غزالی، امام محمد. (۱۳۸۹ش). كيميای سعادت. به سعی و اهتمام پروين قائمی. لاط. طهران:

نشرپیمان.

فاخوری، حنا، وخلیل الجر. (۱۳۷۳ش). تاریخ فلسفه درجهان اسلامی. ترجمه عبدالمحمدآیتی. لاط. طهران: علمی وفرهنگی.

فروزانفر، بدیع‌الزمان. (۱۳۸۷ش). احادیث مثنوی. ترجمه و تنظیم حسین داودی. لاط. طهران: امیر کبیر.

قیصری‌رومی، محمد داود. (۱۳۷۵ش). شرح فصوص الحکم. سید جلال آشتیانی. لاط. طهران: امیر کبیر.

کاشانی، عزالدین محمود. (۱۳۷۲ش). مصباح الهدایه ومفتاح الکفایه. تصحیح علامع جلاالدین همایی. لاط. قم: نشرهما.

کراجکی، محمدبن علی. (لاتا). کنز الفوائد. لاط. لامک: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل بیت.

معین، محمد. (۱۳۷۸ش). فرهنگ فارسی. لاط. طهران: انتشارات امیرکبیر.

مولانا بلخی رومی، جلال‌الدین محمد. (۱۳۸۵ش). مثنوی معنوی. تصحیح رینولد نیکلسون. مقدمه عبدالحسین زرین‌کوب. لاط. طهران: صدای معاصر.

ـــــــــــ (۱۳٦۹ش). فیه مافیه. تصحیح بدیع الزمان فروزانفر. لاط. طهران: امیرکبیر.

ـــــــــــ (۱۳۹۰ش). دیوان شمس. تهران: طلایی.

ناصرخسروقبادیانی بلخی، حکیم ابومعین. (۱۳۸٤ش). دیوان اشعار. مقدمه سیدحسن تقی زاده. لاط. طهران: نگاه.

ـــــــــــ (۱۳۸٤ش). وجه دین. لاط. طهران: اساطیر.

نیکلسون، الن رینالد. (۱۳۷٤ش). شرح مثنوی معنوی مولوی. ترجمه و تعلیق حسن لاهوتی. لاط. طهران: علمی و فرهنگی.

همایی، جلال‌الدین. (۱۳۷٤ش). مولوی‌نامه "مولوی چه می‌گوید". المجلد۱ و۲. لاط. طهران: نشرهما.

هجویری، علی بن عثمان. (۱۳۳٦ش). کشف المحجوب. تصحیح ژوکوفسکی. به اهتمام محمدعباسی. لاط. طهران: امیرکبیر.

همدانی، عین‌القضاة. (۱۳۸۹ش). عین القضات. تصحیح عفیف عسیران. لاط. طهران: کتابخانه ملی ایران.

یثربی، سید یحیی. (۱۳۸۷ش). عرفان نظری. لاط. قم: بوستان کتاب.